حكايات نبوية

١

ياأمّاه ! اصبري ، فإنك على الحق

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

قُبيلَ العُطْلةِ الصَّيْفيَّةِ..

قَاربتِ الامتِحاناتُ على الانْتِهاءِ.. ، وجَلستِ الصَّديقاتُ تحتَ الشَّجرةِ الكَبيرةِ في باحةِ المدرسةِ...

قالتْ (لمياء): ماذا لَدَيْكُم من بَرامجَ لِما وَراءِ الامْتِحاناتِ؟!

ضحكتْ (لحاظ).. ثمَّ قالتْ: دَعِينْا يا لمياءُ من التَّفْكير في ذلك ، وليكنْ تَفْكِيرُنا مَحْصُوراً في أُمورِ الامْتِحاناتِ...

وتَوجَّهتْ (لمياء) نحو صَدِيقَتِها (ليلى) وقالتْ لها:

وما هُو رأيكِ يا عَزِيْزَتي..؟!

فقالتْ (ليلى): أُمْنِيَتي أن يَفْتَحَ مَعْهَدُ الأَسدِ لِتَحْفِيظِ القُرآنِ الكريمِ أَبْوابَهُ بعدَ الامْتِحاناتِ مُباشرةً ، عَسَى أن نُسَجِّلَ فيه ، فنتعلَّم منه عُلومَ القُرآنِ والسُّنّةِ ، ونَسْتفيدِ من دُرُوسٍ كَثيرةٍ: كالخِياطةِ ، وأُمُورِ التَّربيةِ ، ونحو ذلك...

ودَار حديثٌ طَويلٌ بين الصَّدِيقاتِ حولَ هذه القَضَايا.. وتمَّ الاتِّفاقُ على أن تَتَحدَّثَ (لمياء) مَعَ مُديرةِ المَعْهدِ ، وتَسْأَلها عن التَّفْصِيلاتِ...

مُكالَمةٌ هاتِفيَّةٌ

وفي ليلةِ الجُمُعةِ المُباركةِ ، وبينما السَّيِّدةُ (لبابة) مُدِيرةُ المَعْهدِ لِتَحْفيظِ القُرآنِ الكَريمِ..

بينما كانتْ تُؤَدِّي صَلاةَ العِشاءِ في حُجْرتِها.. إذ رَنَّ جَرَسُ الهاتفِ ، فأسرعتِ ابنتُها (لؤلؤة)

إلى الصَّالُونِ ، ورَفَعَتْ سَمَّاعةَ الهاتفِ ، وقالتْ: ألو.. ألو.. مَنِ المُتَكلِّمةُ؟

ضحكتْ (لمياء) وقالت: ألو.. سلامُ اللهِ عليكِ يا حَبيْبتي الشَّطُوْرة ، أينَ السَّيدةُ الوَالدةُ؟

هل أستطيعُ التَّحدُّثَ معها؟

وتركتْ (لؤلؤة) سَمَّاعَةَ الهاتفِ على الطَّاولةِ ، وانطلقتْ إلى غُرْفةِ والدتِها.. فطرقَتِ البابَ ودَخَلتْ.. فرأتْ والدَتَها تحملُ في يديها القُرآنَ الكَرِيمَ.. نَظَرتْ في وَجْهِها فَرَأتِ الدُّموعَ تَسِيلُ من عَيْنَيْهَا!

فركضتْ نَحْوها.. وراحتْ تُقَبِّلُها.. ظَنّاً منها أنَّ أَمْراً ما قد حَدثَ.. فسألَتْها: ماذا جَرَى يا أُمِّي؟ ولم هذا البُكاءُ؟

وتمتمتِ الوَالدةُ بصوتٍ مُنْخَفِضٍ.. وهي تقولُ: صَدَقَ اللهُ العظيمُ.

ثُمَّ أَغْلقتِ المُصْحفَ الشَّريفَ ، ورَفَعَتْهُ إلى قُربِ وَجْهِها.. وقَبَّلَتْه ، ثُمَّ قالتْ لابْنَتِها: إنَّ سَبَبَ البكاءِ هو قولُ اللهِ تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩٢].

قالتْ (لؤلؤة) لأُمِّها: على خَطِّ الهاتفِ فتاةٌ تُرِيدُكِ..!!

وأسرعتْ أُمُّها إلى الصَّالُونِ.. فَأَخَذَتْ سَمَّاعةَ الهاتفِ.. وألقتِ السَّلامَ ، ثمَّ قالتْ: أنا آسفةٌ جدّاً لِهَذَا التَّأْخِيرِ.. ، نعمْ ، ماذا تُرِيدِينَ يا أُخْت (لمياء)؟

وراحتْ (لمياء) تَسْأَلُها عن مَوْعِد افْتِتاحِ دَوْراتِ القُرآنِ الكريمِ.. وعنِ المَكانِ.. وعنِ البَرامجِ.. ونحو ذلك..

والسَّيِّدةُ (لبابة) تُجِيبُ عن ذلك بِصَدْرٍ رَحْبٍ..

ثمَّ سَأَلتِ اللهَ سُبْحانَه أن يَكْتُبَ النَّجاحَ لِلْجَميعِ...

في حَفْلِ الافْتِتاحِ..

وبَعْدَ أُسْبُوعَيْن اجْتَمَعتِ الطَّالباتُ في باحةِ المَعْهَدِ.. وصَعِدتِ الآنسةُ (لبنى) المِنَصَّةَ ، وبعد أنْ ألقتْ على الجَمِيعِ السَّلامَ ، رَحَّبَتْ بهنَّ.. وباركتْ حُضُورَهُنَّ.. وتمنَّتْ لو أنَّ الإنْسانَ يستطيعُ خِدْمةَ حَفَظَةِ كتابِ اللهِ عَزَّ وجلَّ.

ثمَّ افْتَتَحتِ الحَفْلَ بتلاوةِ بعضِ الآياتِ

القُرآنيَّةِ ، والتي تَتْلُوها على النَّاسِ الحافِظَةُ (لميس)...

ثُمَّ قدَّمتِ المديرةُ نُبْذةً عن الجُهُودِ التي بُذِلَتْ في دَوْراتِ القُرآنِ السَّابقةِ ، وقالتْ: أُمْنِيَتي أن تعتني كلُّ منكنَّ بكلِّ ما يدورُ حولَ القرآنِ الكريمِ ، وأطلبُ منكنَّ مضاعفةَ الجُهُودِ للسَّيْرِ في طَريقِ حِفْظِ القُرآنِ وعُلُومِه...

ثمَّ تقدَّمتِ الآنسةُ (لبيبة) فقدَّمتْ نُبْذةَ عن الاهْتِمامِ الكبيرِ من الصَّحابةِ والتَّابِعينِ بكلِّ ما له علاقةٌ بالقُرآنِ الكَريمِ..

وكمْ كانتِ السَّعادةُ كَبِيرةً عندما حَدّثَتَهُنّ عن شَرْحِ قَوْلِ اللهِ تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ثمَّ اقْتَرحَتِ الآنسةُ أن يُخَصَّصَ دَرْسٌ يومِيٌّ لِلْحديثِ عن حِكايةٍ من الحِكاياتِ النَّبَويَّةِ ، بحيثُ

يتمُّ التَّركيزُ على ما تُرْشِدُ إليه الحِكايةُ.. وما هي المَواعِظُ والدُّروسُ التي يُسْتَفادُ من خِلالِ ذِكْرِها..

وقالتْ: لا بأسَ مِنْ أن تُكلَّفَ بعضُ الطَّالباتِ بالتَّحْضِيرِ لتلك الدِّراسةِ ، وذلك من بابِ تَعْويدِ الطَّالبةِ على البحثِ والتَّفْتِيشِ في أُمَّهاتِ الكُتُبِ ، وكذلك التَّدريب على إلقاءِ الدُّروسِ والخُطَبِ ، وما إلى هنالك...

ثمَّ تَوجَّهتِ الآنسةُ (لبيبة) نحو المُديرةِ.. واسْتَأذنَتْ منها في أنْ تكونَ الحِكايةُ النَّبويةُ الأولى في هذه الصَّيْفيَّةِ من نَصِيْبها..

وبالفعلِ رَحّبتِ المُدِيرةُ.. وكذلك كلُّ الطَّالباتِ بهذا الاقْتِراحِ.

لكنَّ المُديرةَ اشْتَرطتْ أن تَكُونَ الحِكايةُ بعد تنَاوُلِ الحَلَوياتِ وبَعْضِ الشَّرابِ المُثَلَّجِ..

وانْطَلَقَ الجَميعُ إلى المَكانِ المُخَصَّصِ للاسْتِراحةِ... مَعَ تناولِ الحلوياتِ ، ثمَّ الشَّرابِ المُثلّج.. دارتْ بعضُ التَّعْلِيقاتِ والمُناقَشَاتِ..

وكانَ العَوْدُ أَحْمَد..!! فَجَمِيعُ الطَّالباتِ بِشَوْقٍ للاسْتِماعِ إلى الآنسةِ (لبيبة) وحِكايتِها التي رَوَاها الرَّسُولُ ﷺ أمامَ الرَّعِيلِ الأوَّلِ...

يا أُمَّاهُ اصْبِرِي!!

وفَتَحتِ الآنسةُ دَفْتَرَها.. وراحَتْ تَرْوي الحِكاياتِ النَّبويَّةَ:

رَوَى الإمامُ التِّرمذيُّ وغيره ، عن صُهَيْب رَضِيَ اللهُ عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال:

كان مَلِكٌ فيمَنْ كانَ قَبْلَكُم ، وكان له ساحِرٌ.

فلمَّا كَبُر قال للمَلِكِ: إنِّي قد كبرتُ ، فابْعَثْ إليَّ غُلاماً أُعَلِّمه السِّحْرَ..

فبعثَ إليه غُلاماً يُعَلّمه ، فكانَ في طَرِيقِه إذا سَلَكَ راهبٌ[1] ، فقعدَ إليه ، وسَمِعَ كَلاَمهُ ، فَأَعْجَبَهُ.

فكانَ إذا أتى السَّاحِرَ مَرَّ بالرَّاهبِ ، وقَعَدَ إليه ، فإذا أَتَىَ السَّاحرَ ضَرَبه ، فَشَكا إلى الرَّاهبِ ، فقال له: إذا خَشِيتَ أَهْلَك ، فقلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ!

فَبَيْنَما هو كذلك ، إذ أَتَى على دَابَّةٍ عَظِيمةٍ[2] ، وقد حَبَستِ النَّاسَ.

فَرَماها فَقَتَلها ، ومَضَى النَّاسُ.

فأتى الرَّاهِبَ فَأَخْبَره ، فقال له الرَّاهبُ: أيْ بُنَيَّ أنتَ اليوَم أَفْضَلُ منِّي.

---

(١) الراهب: هو إنسان عابد.. يعتكف في صومعة أو مغارة ، ويتعبّد الله على طريقة النصارى.

(٢) حيوان كبير قد منع الناس من المرور.

قد بَلَغَ من أَمْرِكَ ما أرى ، وإنك ستُبْتَلَى[1]!!
فإن ابْتُلِيتَ فلا تَدُلَّ عليَّ.

وكان الغُلامُ يُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ ، ويُداوِي النَّاسَ من سائِرِ الأَدْواءِ.

فسمعَ جَلِيسٌ للملكِ كان قد عَمِيَ ، فأتاهُ بِهَدايا كَثِيرةٍ.

فقالَ: ما هاهنا لك أَجْمَع إنْ أنتَ شَفَيْتَنِي.

فقال الغُلامُ: إنِّي لا أَشْفِي أحداً ، إنَّما يَشْفِي اللهُ.. ، فإن أنتَ آمنتَ باللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفاكَ.

فآمَنَ باللهِ ، فَشَفَاهُ اللهُ.

فأتى المَلِكَ فَجَلسَ إليه كما كانَ يَجْلِسُ ، فقال له الملكُ: مَن ردَّ عليكَ بَصَرَكَ؟

قال: رَبِّي!

---

(١) فإنك ستُمتحن بالمصائب والابتلاءات.

قال: ولكَ رَبٌّ غَيْرِي؟

قال: رَبِّي وربُّكَ اللهُ.

فَأَخَذَهُ فلم يَزَلْ يُعذِّبه حتَّى دلَّ على الغُلامِ، فَجِيء بالغُلامِ، فقال له الملكُ: أي بُنَيَّ قد بَلَغَ مِنَ سِحْرِك ما تُبرئ الأَكْمَهَ والأَبْرصَ، وتفعلُ وتَفْعلُ.

فقال: إنِّي لا أَشْفي أَحداً! إنَّما يَشْفِي اللهُ.

فَأَخَذَهُ فلم يَزلْ يُعذِّبُه حتَّى دلَّ على الرَّاهبِ، فَجِيء بالرَّاهبِ، فقيلَ له: ارْجِعْ عن دِيْنِك، فأبى، فدعا بالمِنْشارِ فَوَضَعه في مَفْرِقِ رأسِه فَشَقَّه حتَّى وَقَعَ شِقَّاه[1].

ثُمَّ جِيء بجليس الملكِ، فقيلَ له: ارْجِعْ عن دِينِك، فأبى، فَوُضِعَ المِنْشارُ في مَفْرِقِ رَأْسِه

---

(١) أي: فقطعه نصفين.

فَشَقّه به حتَّى وَقَعَ شِقّاه ، ثمَّ جِيء بالغُلامِ ، فقيلِ له: ارْجِعْ عن دِيْنِك ، فأبى ، فَدفَعَهُ إلى نَفَرٍ من أَصْحابِه ، فقالَ: اذْهَبُوا إلى جَبَلِ كذا وكذا فاصْعَدُوا به الجبلَ ، فإذا بَلَغْتُم ذُرْوَتَه ، فإنْ رَجَعَ عن دِينِه وإلا فاطْرَحُوه! فَصَعِدُوا به الجَبلَ ، فقالَ: اللهمَّ اكْفِنِيهِم بما شِئْتَ ، فرجَفَ بهم الجبلُ ، فَسَقَطُوا ، وجاء يَمْشِي إلى الملكِ ، فدَفَعَه إلى نَفَرٍ من أَصْحابه ، فقال: اذْهَبُوا به فاحْمِلُوه في قُرْقُورٍ[1] فتوسَّطُوا به البحرَ ، فإنْ رَجَعَ عن دِينِه وإلا فاقْذِفُوه ، فَذَهَبُوا به ، فقال: اللهمَّ اكْفِنيهم بما شِئْتَ ، فانْكَفأتْ[2] بهمُ السَّفِينةُ فَغَرِقُوا وجاء يَمْشِي إلى المَلكِ ، فقالَ له: ما فَعَلَ أصحابُكَ؟ قال: كَفَانِيهم اللهُ.

---

(١) أي: سفينة صغيرة.

(٢) سقطت وانقلبت.

فقالَ للمَلِكِ: إنكَ لستَ بقاتِلي حتى تَفْعَلَ ما آمُرُكَ به ، قال: وما هُو؟ قال: تجمعُ النَّاسَ في صَعِيدٍ واحدٍ ، وتَصْلِبُني على جذْعٍ ، ثم خُذْ سَهْماً من كِنانتي[1] وَضَعْهُ في كَبِدِ القَوسِ[2] ثم قُلْ باسْمِ الله رَبِّ الغُلامِ ، ثم ارْمِني فإنَّكَ إنْ فَعَلْتَ ذلك قَتَلْتَنِي. وَفَعَلَ المَلِكُ كما قالَ له ، ثمَّ قالَ: باسْمِ اللهِ ربِّ الغُلامِ ، ثمَّ رَماهُ فوقَعَ السَّهْمُ في صُدغِه فماتَ ، فقال الناسُ: آمنَّا بِرَبِّ الغُلامِ (ثلاثاً).

فقيلَ للمَلك: قد وَقَعَ بكَ واللهِ ما كُنتَ تَحْذَرُ قد آمنَ النَّاسُ ، فأَمَر بالأُخْدُودِ[3] في أَفْواهِ السِّكَكِ[4] فَخُدَّتْ وأَضْرَمَ النِّيرانَ ، وقال: مَنْ لم يَرْجِعْ عن

---

(١) الموضع الذي يوضع فيه السهام.
(٢) وسط الوتر.
(٣) ما يشبه الخندق.
(٤) أبواب الطرق.

دِينِه فأَحْمُوه فيها ، فَفَعَلُوا ، حتى جاءتِ امْرأةٌ ومَعَها صَبِيٌّ لها فتقاعَسَتْ[1] أن تَقَعَ فيها ، فقال لها الغُلامُ: يا أُمّاهُ اصْبِري ، فإنَّكِ على الحَقِّ.

وصَفَّقتِ الطَّالباتُ والآنِساتُ للآنسة (لبيبة) وإلى لقاءٍ آخرَ بإذنِ اللهِ تعالى.

وآخرُ دَعْوانا أن الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ

(١) أي: تردّدت.